

تفسير السعدي

@ 316 @ بها ، استقامت أحواله ، وصلحت أعماله ، التي من أكبرها الجهاد في سبيله .
فكما أن إيمانهم ، هو الإيمان الحقيقي ، وجزاءهم هو الحق الذي وعدهم الله به ، كذلك أخرج
الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بيته إلى لقاء المشركين في (بدر) بالحق الذي يحبه الله
تعالى ، وقد قدره وقضاه . وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج ، أن يكون
بينهم وبين عدوهم قتال . فحين تبين لهم أن ذلك واقع ، جعل فريق من المؤمنين يجادلون
النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ويكرهون لقاء عدوهم ، كأنما يساقون إلى الموت ، وهم
ينظرون . والحال أن هذا ، لا ينبغي منهم ، خصوصا بعدما تبين لهم أن خروجهم بالحق ، ومما
أمر الله به ، ورضيه ، فهذه الحال ، ليس للجدال فيها محل ، لأن الجدال محله وفائده عند
اشتباه الحق ، والتباس الأمر ، فأما إذا وضح وبان ، فليس إلا الانقياد والإذعان . هذا
وكثير من المؤمنين ، لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء ، ولا كرهوا لقاء عدوهم ، وكذلك
الذين عاتبهم الله ، انقادوا للجهاد أشد الانقياد ، وثبتهم الله ، وقبض لهم من الأسباب ، ما
تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها . وكان أصل خروجهم ليتعرضوا لغير خرجت مع أبي
سفيان بن حرب لقريش إلى الشام ، قافلة كبيرة . فلما سمعوا برجوعها من الشام ، ندب
النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، فخرج معه ثلاث مئة ، وبضعة عشر رجلا ، معهم سبعون بعيرا
، يعتقبون عليها ، ويحملون عليها متاعهم . فسمعت بخبرهم قريش ، فخرجوا لمنع غيرهم ، في
عدد كثير وعدد وافرة من السلاح ، والخيول والرجال ، يبلغ عددهم قريبا من الألف . فوجد
الله المؤمنين ، إحدى الطائفتين ، إما أن يظفروا بالغير ، أو بالنفير ، فأحبوا العير
لقلة ذات يد المسلمين ، ولأنها غير ذات الشوكة ، ولكن الله تعالى ، أحب لهم ، وأراد أمرا
أعلى مما أحبوا . أراد أن يظفروا بالنفير ، الذي خرج فيه كبراء المشركين وصناديدهم ، !
2 2 ! فينصر أهله ! 2 2 ! ، أي يستأصل أهل الباطل ، ويرى عباده من نصره للحق أمرا لم
يكن يخطر ببالهم . ! 2 2 ! بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه ، ! 2 2 !
بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ! 2 2 ! فلا يبالى الله بهم . ^ (إذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلا بشرا ولتطمئن به
قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * إذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به
الأقدام * إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين
كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن

يشاقق ا ا ورسوله فإن ا شديد العقاب * ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار) ^ أي :
اذكروا نعمة ا عليكم لما قارب التقاؤكم بعدوكم ، استغثتم بربكم ، وطلبتم منه أن
يعينكم وينصركم ! 2 2 ! وأغاثكم بعدة أمور : منها : أن ا أمدكم ! 2 2 ! أي : يردف
بعضهم بعضا ، ! 2 2 ! أي إنزال الملائكة ! 2 2 ! أي : لتستبشر بذلك نفوسكم ، ! 2 2 !
وإلا فالنصر بيد ا ، ليس بكثرة عدد ولا عدد . ! 2 2 ! لا يغالبه مغالب ، بل هو القهار ،
الذي يخذل من بلغوا من الكثرة ، ومن العدد والآلات ، ما بلغوا . ! 2 2 ! حيث قدر الأمور
بأسبابها ، ووضع الأشياء مواضعها . ومن نصره واستجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نعاسا ! 2
! أي : فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل ، ويكون ! 2 2 ! لكم ، وعلامة على النصر
والطمأنينة . ومن ذلك أنه أنزل عليكم من السماء مطرا ليظهركم به من الحدث والخبث ،
وليظهركم من وساوس الشيطان ورجزه . ^ (وليربط على قلوبكم) ^ أي : يثبتها فإن ثبات
القلب ، أصل ثبات البدن ، ! 2 2 ! فإن الأرض كانت سهلة دهسة فلما نزل عليها المطر ،
تلبدت ، وثبتت به الأقدام . ومن ذلك أن ا أوحى إلى الملائكة ! 2 2 ! بالعون والنصر
والتأييد . ! 2 2 ! أي : ألقوا في قلوبهم ، وألهموهم الجراءة على عدوهم ، ورغبوهم في
الجهاد وفضله . ! 2 2 ! الذي هو أعظم جند لكم عليهم . فإن ا إذا ثبت المؤمنين ،
وألقى الرعب في قلوب الكافرين ، لم يقدر الكافرون على الثبات لهم ، ومنحهم ا أكتافهم
! 2 . ! أي : على الرقاب ! 2 2 ! أي : مفصل . وهذا خطاب ، إما للملائكة الذين أوحى
إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا ، فيكون في ذلك دليل ، أنهم باشروا القتال يوم بدر ، أو
للمؤمنين يشجعهم ا ، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين ، وأنهم لا يرحمونهم . ! 2 2 ! أي :
حاربوهم ، وبارزوهما بالعداوة . ! 2 2 ! ومن عقابه